المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الأستاذ: حمزة بوزيدي

قضايا الأدب الصوفي:

(وحدة الوجود + الحقيقة المحمدية)

وحدة الوجود:

فكرة وحدة الوجود تسربت إلى الفكر الإسلامي من فلسفات الهند والأفلاطونية المحدثة التي يأتي على رأس نظامها الفلسفي معنى الواحد الذي تفيض منه الموجودات فيضا ضروريا ابتداءً من العقل، إلى النفس الكلية، إلى المادة، ويتصل بذلك أن هذه الحقيقة تمثل الجمال المطلق، الذي يُرجع كل حسن وكل صورة من صور الجمال إليه. ولقد كان المستشرق فون كريمر يذهب إلى أن وحدة الوجود مستمدة من المصدر البوذي الهندي، وقد تمثلها الحلاج في القرن الثالث الهجري.

بينما يرى آخرون أن فكرة وحدة الوجود لم تظهر في صورة نظرية كاملة متسقة قبل محيي الدين بن عربي المُتوفَّى سنة ٦٣٨، وإن ظهرت بعض الاتجاهات نحو هذه النظرية نجدها بين حين وآخر في أقوال الصوفية السابقين عليه، ولم يكن ابن عربي أول من أرسى دعائم مذهب كامل في وحدة الوجود وحسب، بل ظل حتى اليوم الممثل الأكبر لهذا المذهب، ولم يأت بعده ممن تكلموا في وحدة الوجود نثرًا أو شعرًا إلا كان متأثرًا به أو ناقلًا عنه، أو مرددًا لمعانيه بعبارات جديدة.

الحقيقة المحمدية:

ترد هذه الفكرة تارة تحت اسم الحقيقة المحمدية، وتارة تحت اسم الإنسان الأول، أو الإنسان الكامل، أو النور المحمدي، وقد استلهمت الفكرة من أفكار الفيلسوف أفلوطين (توفي سنة 270 ميلادي) الذي يعتقد أن الخالق أبدع ما يسمى العقل الأول وهو كائن مستقل، هذا العقل يفيض فيحدث صورة منه وهي النفس الكلية وهذه الأخيرة تفيض فتصدر عنها نفوس الكواكب، البشر، الأجسام...

انتقلت هذه الأفكار إلى الشيعة الباطنية والإسماعيلية والإثناعشرية ثم أخذها غلاة المتصوفة، وقد جعلوا النبي محمد عليه الصلاة والسلام في مقام العقل الأول عند أفلوطين وقالوا أنه أول خلق الله ومن نوره خلق الكون. يقول الإمام الشوكاني: "أدخل الحلاج فكرة الحلول، وفكرة النور المحمدي الأزلي وهو كذلك الذي فتح باب وحدة الوجود لمن بعده من غلاة الصوفية كابن عربي فأشغلهم بها."